بلوم، رودلف. الببليوجرافيا: بحث فى تعريفها ودلالاتها

عرض
د. نعمات سيد أحمد مصطفى
قسم المكتبات والوثائق والمعلومات
كلية الآداب – جامعة القاهرة

فى إطار ست نقاط أساسية هى خلاصة تسعة فصول متتالية تناول المؤلف الأصلى رودلف بلوم Rudolf Blum الأصول التاريخية للفظ ببليوجرافيا؛ والتطور التاريخى لمفهوم الببليوجرافيا؛ والتسمية الحقيقية لمفهوم الببليوجرافيا؛ وكذلك التوسيع والتضييق للدلالات والاستخدامات فى فرنسا وألمانيا وانجلترا وبعض دول أوربا الغربية مثل هولندا وأوربا الشرقية مثل الدول السوفيتية (الروسية) وأيضا الولايات المتحدة الأمريكية، محللا بعمق شديد للغاية ما ورد فى ١٩٦ مصدرا ـ ضمنها قائمة المصادر فى نهاية الكتاب ـ من أصول تاريخية جذرية وتطورات قديمة ووسيطة وحديثة للمصطلح ودلالاته واستخدامات الببليوجرافيين له فيما كتبوه وكتب عنهم، وكل ما نتج وصدر من عناوين هذه المصادر ويحمل من قريب أو بعيد المصطلح أو ما يرادفه باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، سواء كانت بحوثاً أو دراسات أو قوائم كتب وببليوجرافيات أو حتى ببليوجرافيات الببليوجرافيات خلال عصور تاريخ البشرية وهى رحلة طويلة استغرقت من ٣ ق.م إلى القرن ٢٠ الميلادى. وفى إطار هذه الرحلة الطويلة الشاقة من البحث والتنقيب والتحرى والمقارنة أعطى بلوم ما وضع للمصطلح من مكانة فى التصنيف الفكرى للمعرفة وما تضمن الاستخدامات من موضوعات تدرس فى معاهد ومدارس وكليات المكتبات والمعلومات فى كل من فرنسا والمانيا وانجلترا بالتحديد والتخصيص.

هذه الموسوعة البحثية الألمانية الأصل فى مصطلح الببليوجرافيا من واقع أصول وأمهات مصادر المعلومات فى الببليوجرافيا، ترجمت إلى الإنجليزية ـ كما ذكر صاحب الترجمة العربية التى نعرض لها تحليلا وتقييما ـ ثم نقلها شعبان عبد العزيز خليفة إلى اللغة العربية، تعد من الأعمال التى غابت عن ساحة الإنتاج الفكرى فى مجال المكتبات والمعلومات ـ الأصلى والمترجم ـ منذ

(*) بلوم، رودلف. الببليوجرافيا: بحث فى تعريفها ودلالتها / تأليف رودلف بلوم؛ ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦. ـ ٣٤٥ ص.

obeikandl.com

سنوات ليست قليلةً. فقد قوبلت بترحاب شديد وبشوق وتلهف على العودة للأصل ـ أصل العلم والمهنة والاستخدام ـ فالكل يلهث وراء الإسهام والكتابة والتأليف والترجمة فى الموجة المعاصرة والتيار السائد فى مجال الحاسبات الإلكترونية والشبكات وشبكات الشبكات والنظم الخبيرة والذكاء الاصطناعى والتخيل الحقيقى الإلكترونى. كل هذه الكتابات والترجمات فى هذه الموضوعات أجهدت الفكر والأعصاب ـ إذا ما استثنينا البصر من هذا وذاك ـ فجاءت هذه الموسوعة جرعة مكثفة مهدئة ومنشطة فى نفس الوقت لتحيى مع دارسى الببليوجرافيا وباحثها من العلماء المعنيين بالعلم ـ أسسه النظرية وتطبيقاته العملية من الدلالات والاستخدامات من واقع الأصول المصدرية.

هذا الكتاب البحثى الموسوعى فى ترجمته العربية، يعد تأليفا عربيا أصيلا نظراً لسلاسة النص فى التعبير عن الأصل ـ الألمانى وترجمته الإنجليزية ـ فى نسق موضوعى واضح وضوح اللغة العربية نفسها. وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى أن علم الببليوجرافيا هو أصل المهنة أو العلم الذى يمارسها المترجم أكاديميا بأستاذية متمكنة. الأمر الذى جعل صاحب الترجمة. الأستاذ الدكتور شعبان خليفة أن كان يرجع أحيانا إلى الأصل الألمانى للتحقق من بعض ما قد يكون قد غاب عن الترجمة الإنجليزية وهذه خاصية الباحث العالم المدقق حتى ولو كان مترجما، ولذا جاءت الترجمة وكأنها أصل فى سلاسلة العرض الموضوعى للنص.

أما المؤلف الأصلى «بلوم» فقد تناول فى الفصول ـ من الفصل الأول حتى الفصل الرابع ـ أصل المصطلح ـ ببليوجرافيا ومدلولاته أو التعبير عنه ومفهومه فى الدول الأوربية وبالذات فى كل من انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا ـ وبطبيعة الحال ـ ألمانيا، بدءاً من العصر القديم متأثرا بكتاب آخر له بعنوان: **كاليماخوس ومكتبة الإسكندرية القديمة**، حيث كانت قوائم الكتب توجد منذ منتصف ق ٣ ق.م. تشبه الببليوجرافيات الحالية. وأوضح بشكل مختصر أن الإغريق اكتفوا بأن استخدموا المصطلح بأنه نسخ الكتب دون وصفها مستمدين هذا التعريف من مقطعى الكلمة اليونانية الأصل التى تعنى نسخ الكتب باليد وأن الببليوجرافى يعنى لديهم ـ أى اليونانيين الشخص الذى يقوم بنسخ الكتب. وقد اعتمد «بلوم» على عدة مصادر أساسية ومن واقع كتابات الببليوجرافيين أنفسهم والمعنيين بمعرفة الكتب ووصف الكتب وقوائم الكتب.

ثم ينقلنا بلوم فى الفصل الثالث إلى البداية الحقيقية لمفهوم المصطلح واستخداماته خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر على أساس أن التاريخ المنطقى للببليوجرافيات قد أتى بعد اختراع الطباعة وعلى يد يوحنا جوتنبرج وانتشارها وبدء ظهور الببليوجرافيا الحقيقية بنهاية القرن الخامس عشر. وقد استند «بلوم» إلى ما ظهر من المصطلح من عناوين الببليوجرافيات التى وجدت فى القرن السادس عشر فى إيطاليا، حيث وجدت ببليوجرافيات عامة وببليوجرافيات متخصصة راجعة. كما أشار «بلوم» إلى ما عرف فى ألمانيا فى هذا المجال من الببليوجرافيات الجارية التى كانت تطلق عليها الببليوجرافيات الدورية. وقد استخلص بلوم من مصادره ما ذكر من تعبيرات واصفة لقوائم الكتب كما وردت عن المؤلفين فى مؤلفاتهم أو وردت فى الببليوجرافيات التى وجدت منذ منتصف القرن

السادس عشر وأشار إليها فى الحواشى النصية و ـ المرجعية ـ.

إلا أن «بلوم» حينما أخذ يحلل بعمق ويفسر الدافع الذى جعل جابريل نوديه Gabriel Naudé والقس لويس جاكوب Louis Jacob لاستخدام هذا المصطلح فى عمليهما ـ اللذين اشتهرا بهما ـ حيث عبر كلا منهما عن الببليوجرافيا بأنها قاذمة بالإنتاج الفكرى، فقد توصل «بلوم» إلى أنه لم يحدث أن ورد فى أى الأعمال المكتوبة أو المطبوعة استخدام كلمة ببليوجرافيا بهذه التسمية والدلالة قبل الربع الأول من ق ١٧ م، مدعماً تحليله وتفسيره بالحواشى المرجعية التى أشار إليها فى تسلسل رقمى متتالى.

واستكمل «بلوم» فى فصله الخامس تطور استخدام مصطلح الببليوجرافيا خلال ق ١٧م وحتى مطلع ق ١٨م من واقع ما صدر فى ألمانيا من قوائم الإنتاج الفكرى المتنوعة. ثم انتقل إلى فرنسا وهولندا موضحاً الأعمال التى أبرزت المصطلح بمفهوم قائمة بالإنتاج الفكرى بمعنى الحصر والوصف ذاكراً كل الأعمال التى تقع تحت هذا المسمى وكل الأسماء التى تلقب ببليوجرافيين. وقد تبين لمؤلف هذا العمل البحثى الضخم وناقله إلى العربية بدقة ووضوح متناهيين أن مصطلح الببليوجرافيا قد صادف تعديلاً نتيجة للتعبيرات التى وردت فى أعمال كل من الببليوجرافى «رايمان» Reimmann والببليوجرافى هيومان Heumann، حيث أصبح يدل على «التسجيل الجارى المنهجى للمطبوعات الجديدة».

ثم بدأت فصول هذا البحث الجاد فى العمق الأفقى والرأسى معاً فى التعرض لمفهوم الببليوجرافيا وتسمياتها من الفصل السادس حتى الفصل التاسع. فقد تحقق «بلوم» مما ساد فى دول أوربا حتى بداية ق ١٨م تطور وإضافة إلى المفهوم والمدلول للمصطلح شملت المكتبات والتاريخ الفكرى والنشاط الببليوجرافى من واقع ما صدر من أدلة وببليوجرافيات وفهارس أخرجتها المؤسسات والمؤلفين من الببليوجرافيين. وقد قام «بلوم» بعرض لهذه الأعمال بتحليلها وتقييمها وكأنها دراسة تقيمية لفئة المراجع التى تدخل فى إطار الببليوجرافيات وأدلة الإنتاج الفكرى وكتب التراجم التى تغطى المؤلفين ومؤلفاتهم فيما يسمى الآن Biobibliography.

ثم استطرد «بلوم» فى دراسة التطورات التى طرأت على المصطلح ليتسع بأن يضم ليس فقط قوائم الكتب بل علم الكتب (الكتاب) كأحد فروع المعرفة وقد استخلص المؤلف «بلوم» ما توصل إليه من أنه فى نهاية ق ١٧م كان العمل الببليوجرافى يعنى ـ بصفة عامة ـ العمل الذى يتصدى لتاريخ الفكر بإستعراض مفرداته وعلاماته البارزة فى إطار موضوع متخصص أو فى إطار الإنتاج الفكرى بشكل عام، عارضا ما كان يتم تدريسه فى جامعات ألمانيا فى إطار علم الكتاب منذ ق ١٧م. فقد ذكر «بلوم» أن الببليوجرافيا كانت تدرس ضمن التاريخ الفكرى مرتبطا بالمكتبات وعلم الكتاب. وفى الوقت نفسه العمل الببليوجرافى فى فرنسا يرتبط بالمسح النقدى للإنتاج الفكرى القديم. فقد ظهرت فى فرنسا فى نهاية ق ١٧م ظاهرة جمع الكتب وتكوين المكتبات الخاصة نتيجة لغزارة الإنتاج الفكرى وكرد فعل طبيعى ومنطقى لعصر التنوير. ومن ثم راجت تجارة الكتب وأصبحت تجارة محترمة. وكان على قمة الببليوجرافيين من تجار

الكتب بروسبر مارشاند Prosper Marchand، وجابرييل مارتان Gabriel Martin فقد وضع مارشاند نظام تصنيف إقتبسه من عاصره ومن جاء بعده. وقد شرح مارشاند نظامه هذا فى مقدمة عمله المشهور حيث ذكر أن الببليوجرافيا تنقسم إلى قسمين: ببليوجرافيا توجيهية، وببليوجرافيا خاصة ولكل من القسمين تفريعاته الخاصة به. أما نظام التصنيف نفسه فقد ضم خمسة أقسام هى: اللاهوت ـ الشريعة ـ العلوم والفنون ـ الآداب ـ التاريخ واعتبر مارشاند التاريخ الفكرى ضمن التاريخ ـ القسم الخامس من نظام التصنيف الذى وضعه. بينما اختلف جامعو الكتب وتجارها فى تبنى هذا التصنيف حيث حعل بعضهم التاريخ الفكرى ضمن كتب الأدب.

وقد تبين لبلوم أن مسمى الببليوجرافيا التوجيهية من المصطلحات التى وجدت قبولا واستخداما فى فرنسا. كما أعطى بلوم تفصيلا كاملا لنظام تصنيف مارشاند (١٧٠٩) كما فصل كذلك التصنيف الذى وضعه مارتان (١٧١١) علما بأن مارتان اعتمد إلى حد كبير على ما وضعه مارشاند فى نظامه حيث أن كلاهما يضع الببليوجرافيا أو علم الكتاب كجزء من التاريخ يتفرع من التاريخ الفكرى.

ومن خلال ما قام به «بلوم» من تحليل دقيق لكل الكتابات التى تناولت نظام مارشاند والمؤلفات التى تناولت موضوع الببليوجرافيا ووصف الكتب وعلم الكتب ومعرفة الكتب تبين له أن زملاءه لم يرحبوا بالتعديلات التى أدخلها على نظامه بل اتهمه البعض بأنه لم يضع نظاما لتصنيف المعرفة، بل وضع نظاماً لتصنيف الكتب.

وبنفس العمق فى تحليل كل الأعمال الببليوجرافية وكل الببليوجرافيات التى عرضت فى مقدماتها لمصطلح الببليوجرافيا قدم لنا «بلوم» ـ ونقله أ.د شعبان خليفة بنفس الوضوح والسلاسة فى عرض النص بالعربية ـ المفهوم الذى أصطلح وأتفق عليه كل من مارشاند ومارتان من أن المقدمات النظرية للببليوجرافيا جزءا من الببليوجرافيا بمعنى أن النظرية والتطبيق وجهان لعملة واحدة. وظل هذا المفهوم سائدا واستقر وشاع استخدامه دون أن يطرأ جديد عليه أو يظهر تعريف آخر للببليوجرافيا. وإن كان عالم الآثار چاك سبون Jaques Spon قد ذكر فى كتابه «مجموع الآثار القديمة» الذى صدر فى أواخر القرن ١٧م، أن علم المسكوكات مثلا يدخل ضمن موضوعات الببليوجرافيا، على أساس أن الببليوجرافيا تتعلق بالكتب فى العصور القبيمة والمخطوطات اليونانية والرومانية وهو مفهوم يتمشى مع مفهوم علم الكتاب ونقد النصوص.

واستمر بلوم فى تحليله لكل التأليف التى تناولت المصطلح فى عصوره المختلفة ومقارنتها بما وضعه مارشاند ومارتان حتى استنبط إصطلاحيتان للببليوجرافيا: احدهما الببليوجرافيا الفكرية "literary"، والببليوجرافيا الطباعية "Typographic". ومن ثم فقد رأى بلوم أن الببليوجرافيا الفكرية انبثقت من مصطلح التاريخ الفكرى، بينما الببليوجرافيا الطبوغرافية فقد انبثقت من مفهوم مصطلح تاريخ الكتاب. وبناء على ذلك تصبح الأولى أدوات للدراسة والبحث، بينما نتاج الثانية يخدم تجار الكتب وجامعى الكتب والباحثين فى علم الكتاب كذلك.

واستطرد «بلوم» فى الفصل الثامن عرض وتحليل

المؤلفات التى تناولت من قريب أو بعيد موضوعات دنيا الفكر أو التاريخ الفكرى والببليوجرافيا، حيث تبين له وجود اتجاهات كثيرة ظهرت له وكأنها ربما تختلف فى التعبير والاستخدام إلا أنها تتفق فى الأساس والتكوين. من هذه الاتجاهات ما يرى أن للببليوجرافيا جانبين أحدهما وصفى والآخر تاريخى، الأمر الذى يتحتم معه أن تبنى واجبات الببليوجرافى على أساس التحقيق والوصف والتصنيف والتقييم ـ وكلها واجبات ما زالت تؤذى من جانب الببليوجرافيين إلى وقتنا هذا. ونتيجة لذلك، استخلص «بلوم» أن مفهوم واستخدام الببليوجرافيا فى ق ١٨م بالنسبة لفرنسا كان يعنى معرفة الكتب (القوائم) بينما كان معرفة الكتب بالنسبة لألمانيا جزءا ثانويا من علم الببليوجرافيا. وفى سبيل الوصول إلى هذه الخلاصة عرض «بلوم» لكل التسميات التى صدرت للببليوجرافيات فى فرنسا وألمانيا وعبر عنها بالتحديد بمسمى المدرسة الفرنسية والمدرسة الألمانية. وفى أثناء عرضه وتحليله واستخلاصه أكد «بلوم» أنه لم تظهر أية إشارات إلى لفظ ببليوجرافيا فى أية دولة من دول أوربا خلال القرن ١٨م، فيما عدا كتابين فقط أحدهما بريطانى والآخر أسبانى وقد ورد ذكرهما فى حواشيه وقائمة مصادره. والجدير بالذكر هنا أن إيطاليا ـ على وجه التخصيص ـ كانت تتبع المدرسة الفرنسية ولذلك فقد استخدم المصطلح مواكباً لاستخدامه فى كل من فرنسا وألمانيا.

أما الفصل التاسع والأخير من هذه الموسوعة البحثية فى المفهوم والاستخدام لمصطلح «ببليوجرافيا» الذى أوفاه «بلوم» غاية حقه فى البحث المتعمق، فقد تناول هذا الفصل القرنين ١٩م، ٢٠م. وهنا بدأ يتناول المدارس التى قامت بتدريس علم الببليوجرافيا من خلال تحليل المقررات الدراسية فى مدرسة الوثائق بباريس وفى جامعة السوربون كذلك. وتناول بالتحليل الدقيق التطورات التى طرأت على المقررات الدراسية حيث بدأ تدريس هذه المقررات فى نهاية القرن ١٩م فقد تطور المقرر من «تنظيم الأرشيفات والمكتبات» إلى مقرر فى «الببليوجرافيا وتنظيم المكتبات والأرشيفات» ثم تطور بعد ذلك إلى مقرر «الببليوجرافيا والخدمات المكتبية».

وقد تعهد المعهد الدولى للببليوجرافيا ـ فى بروكسل بإعداد مشروع لإنشاء مدرسة للكتاب تتضمن مجالات الدراسة فيها الموضوعات التالية:

أ ـ النشر.

ب ـ تجارة الكتب.

جـ ـ علم الكتاب حيث شمل هذا المقرر تاريخ الكتاب والببليوجرافيا، والنظرية الببليوجرافية والإنتاج الفكرى الببليوجرافى وأخيرا إقتصاديات المكتبات.

كما تناول بلوم بدقة شديدة الاستخدام الألمانى والمدرسة الألمانية والمقررات الدراسية فى جامعات ألمانيا حيث كشفت له كل الكتب والمصادر والمؤلفات التى تناولت التاريخ الفكرى والنشاط الثقافى الفكرى فى ألمانيا أن الببليوجرافيا كانت تعنى بالنسبة لألمانيا «الكشاف إلى التاريخ الفكرى». ونظرا لما استقر عليه المفهوم والاستخدام لمصطلح الببليوجرافيا لدى الألمان، فقد صار أمرا طبيعيا أن تضم أو تجمع تحت علم المكتبات كل الفروع والموضوعات التى يشتمل عليها التاريخ الفكرى للكتاب. وكانت هذه تتضمن معرفة الكتب والأعمال العامة التى يندرج تحتها علم المكتبات والببليوجرافيا، والطباعة وتجارة الكتب والتعليم وتاريخ

المعرفة وأخيرا تاريخ ومطبوعات الأكاديميات والجمعيات العلمية، وأضيف كذلك المطبوعات ذات الطابع العام من الدوريات ودوائر المعارف. وكان لزاما على أمين المكتبة أن يعرف كل النظريات والتطبيقات التى يجب أن توضع تحت علم الكتاب أو علم المكتبات.

وتتبع «بلوم» حركة النشر التى دعت إليها نتائج الحربين العالميتين من ظهور نوع جديد من الببليوجرافيا هو ببليوجرافيا الببليوجرافيات. هذه الحركة قادت إلى تطوير نظرية الببليوجرافيا ومصطلحاتها. وقد ركز «بلوم» فى تتبع حركة التطوير هذه على الكتاب الذى صدر فى ليبزج سنة ١٩٢٣ بعنوان «دليل الببليوجرافيا» وقام بتأليفه العالم الببليوجرافى الشهير جورج شنيدرGeorg Schneider والذى صدرت له عدة طبعات فيما بعد.

قام «بلوم» بتحليل كتاب «شنيدر» وطبعاته الأربع وعرض وجهات النظر المختلفة التى تناولت كتاب شنيدر بالتأييد أو النقد. فعلى الرغم مما لهذا الكتاب من أهمية قصوى فى مفهوم الببليوجرافيا الحديثة إلا أن هناك من يختلف معه فى الرأى. فقد قسم شنيدر الببليوجرافيا أساسا إلى قسمين أظهرهما فى كتابه: القسم الأول ويشمل أو يتناول نظرية قوائم الكتب وتسجيل الكتب معاً؛ أما القسم الثانى فيتناول: معلومات عن قوائم الكتب أى وصف الكتب ببليوجرافيا. وقد استقر مجال الببليوجرافيا كموضوع للتدريس فى الجامعات الألمانية، إلا أن بلوم نفسه يعلق بقوله أن استقرار المجال لا يعنى أن المفاهيم قد استقرت فقد ظلت المصطلحات غير قاطعة وغير محددة نتيجة لعدم تحديد العلاقة بين الببليوجرافيا ومعرفة الكتب. ويرى بلوم أنه لا مفر من أن نقبل الوضع كما هو حيث تستخدم مصطلحات مثل «الببليوجرافيا» و«معرفة الكتب» أو «علم الكتب» كمرادفين لمدلول واحد.

وذكر «بلوم» فى معرض نقاش كتاب «شنيدر» أن ريتشارد فيك Richard Fick كان من بين الببليوجرافيين الذين لم يتفقوا مع شنيدر فى تقسيمه للببليوجرافيا أو فى وجهة نظره. فقد رأى فيك أن الببليوجرافيا هى جوهر علم المكتبات ولا بد وأن تدرس على هذا الأساس. وقد صادف فيك حظا عظيما حينما أوصى مؤتمر براغ فى سنة ١٩٥٨ أنه لا يكفى أن تحصر الببليوجرافيات المفردات فقط بل يجب أن تربط بتاريخ العلم وطرق البحث فيه بصفة عامة خاصة فى المجالات المتخصصة التى تعالجها القوائم وقد قامت مدرسة المكتبات بفرانكفورت بتنفيذ وجهة نظر فيك وما جاء من توصيات مؤتمر براغ الذى كان يناقش مشكلات الإعداد المهنى لأمناء مكتبات الجامعة.

ومنذ منتصف القرن العشرين أصبح علم الكتاب وعلم الببليوجرافيا يفصلان عن علم المكتبات وأن النظم الببليوجرافية التى نشرت فى ألمانيا فيما بين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠ لا ذكر فيها لأى من علم المكتبات ولا علم الكتاب. وأصبحت القاعدة العامة أن تظهر الببليوجرافيات كمقدمات إلى تاريخ العلوم والبحث العلمى.

وحينما تناول بلوم الاستخدام الإنجليزى لمفهوم الببليوجرافيا، تبين له أن الببليوجرافيين الفرنسيين وما رأوه وقاموا بتدريسه فى مدرسة الوثائق بباريس وفى جامعة السوربون، قد وصل وانتشر فى بريطانيا حتى نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن مفهوم

المصطلح من حيث معرفة الكتب ووصف الكتب النادرة والقديمة واعتناق البريطانيين لهذا المفهوم والمدلول يرجع إلى تأثير ما كتبه كل من توماس هورن Thomas Horne، وتوماس دبدن Thomas Dibdin.

وعلى نفس نمط التحليل الذى قام به «بلوم» لكتاب شنيدر الألمانى قام بلوم بتحليل كتاب جيمس براون James Brown الذى اشتهر فى بريطانيا وفى عالم المكتبات من خلال كتابه الذى صدر فى لندن سنة ١٨٩٨م بعنوان «دليل تصنيف المكتبات» فى نفس كتابه الثانى الذى صدر فى لندن كذلك سنة ١٩٠٣م بعنوان «دليل أعمال المكتبات» وقد صدرت له عدة طبعات بعد ذلك. ويبدو من تحليل وتقييم بلوم لكتابى براون أنه يتفق معه فى وجهة نظره حيث يرى براون أن هناك فرقاً بين علم المكتبات وبين الببليوجرافيا، فقد استغرق الجزء الأكبر من الفصل التاسع لكتاب بلوم ـ الذى نعرض له ونحلله ـ تحليلا دقيقا واقتباسات كثيرة لما ورد فى كتابات براون الذى يركز على أن الببليوجرافيا تعنى وصف وتسجيل الكتب وأن علم الببليوجرافيا لا يختلف عن استخداماته التى تضم: وصف الكتب وإعداد القوائم؛ وإنتاج الكتب وخاصة منذ اختراع الطباعة؛ وقوائم الإنتاج الفكرى (الببليوجرافيا المنهجية أو الحصرية). يعنى ذلك أن علم المكتبات لم يعد جزءا من الببليوجرافيا.

ثم تطرق «بلوم» بالنقد والتحليل لما كتبه آروندل إيسديل Arundell Esdaile الذى أتى بعد مرور ٢٥ سنة على براون وكتاباته فحق له أن يصبح كتابه الكتاب الدراسى المقرر لأمناء المكتبات فى بريطانيا. وقام «بلوم» بعقد مقارنة تحليلية لما أورد ايسديل من وجهة نظر عن مصطلح الببليوجرافيا والمدلول والنظرية والعلم، بالمقارنة لما كتبه السابقون من الببليوجرافيين. عبر إيسديل عن الببليوجرافيا بأنها نظرية وصف الكتب وتطبيقاته وهى كذلك نظرية إنتاج الكتب وما يوجد من قوائم الإنتاج الفكرى.

ثم تطرق بلوم لنظرية جون كاولى-John Cowley ـ الذى كان مديرا لمدرسة المكتبات بجامعة لندن ـ فى كتابه «الوصف الببليوجرافى والفهرسة» حيث يرى أن هناك ثلاثة أنواع من الببليوجرافيا: الببليوجرافيا النصية وتعنى الببليوجرافيا النقدية؛ والببليوجرافيا التاريخية وتعنى علم الكتاب؛ ثم الببليوجرافيا الموضوعية.

ويظل «بلوم» يتنقل بين المصادر باحثاً ومنقباً ومحللا لآراء الببليوجرافيين من واقع كتاباتهم من أجل الوصول إلى الجديد الذى لم يتطرق له أحد ولم يذكر من قبل منذ عرفت الببليوجرافيا وربط بينها وبين معرفة الكتب. ويتحول بين تقسيمات الببليوجرافيين لأنواع الببليوجرافيا حتى توصل إلى تقسيم منطقى ورد فى مقال فى دائرة المعارف البريطانية من إعداد وتأليف فردسون باورزFredson Bowers، حيث قسم الببليوجرافيا فى الستينيات إلى ثلاثة أقسام ١ ـ تحليلية (نقدية)؛ ٢ ـ وصفية؛ ونصية.

ونظرا لارتباط الولايات المتحدة الأمريكية ببريطانيا ارتباطاً وثيقا، فقد أخذت عن بريطانيا ما توصل إليه الببليوجرافيون البريطانيون فى محاولاتهم توضيح المفهوم والمدلول والنظرية والتطبيق وأقسام الببليوجرافيا وأنواعها، ومن ثم لم يجد بلوم جديدا لديهم يبحثه ويحلله واكتفى بأن أشار إلى وظيفة

أمناء المكتبات العامة والعمل المرجعى خاصة، وذلك من خلال ما أعدته أليس برتا كروجر Alice Berta Kroeger فى كتابها «دليل دراسة واستخدام الأعمال المرجعية».

كما أنه أشار فى إيجاز شديد إلى مفهوم المصطلح ودلالاته فى مناطق أخرى من أوربا مثل هولندا والسوفيت (روسيا) التى كان لها تأثير قوى على دول أوربا الشرقية.

وفى نهاية هذه الموسوعة البحثية فى مصطلح الببليوجرافيا ودلالاته على مر العصور أوصى هذا الببليوجرافى العالم بلوم بضرورة إعداد دراسات بحثية مثيلة تغطى بقية دول العالم كدراسات تكميلية حتى تكتمل الدائرة بالنسبة لعالم الببليوجرافيا على مستوى العالم أجمع. ثم ختم هذه الدراسة البحثية بتلخيص ما ورد فى فصولها التسعة فى ست نقاط كلها تدور حول أصل المصطلح وتطوره واللفظ والمفهوم والمضمون والاستخدام فى كل من ألمانيا وفرنسا وانجلترا. وختم خلاصته بفقرة من جملتين كانتا أروع ختام لهذا العمل البحثى الضخم حيث ذكر أن مصطلح الببليوجرافيا ليس علما قائما بذاته بل علم يخدم كل فروع المعرفة البشرية وأن تطورها وتطور وصف الكتب (الضبط الببليوجرافى) ينتمى إلى تاريخ البحث العلمى الحديث.

كلمة حق يجب أن نذكرها هى أن كتاب رودلف بلوم «الببليوجرافيا: بحث فى تعريفها ودلالاتها» أعاد للبحث العلمى قيمته ورد للأصالة اعتبارها وحقها. كتاب يقدره حق قدره من يبحث عن العلم الأصيل وعن البحث العلمى الحق. كتاب يجهد من يقرأه من الباحثين والببليوجرافيين وكل من يعمل فى مجال المعلومات والمكتبات بجدية واتقان، يجهدك لما يشتمل عليه من حواشى مرجعية وتفسيرية وصلت ٦٣٦ حاشية تحليل وتفسر ما رجع إليه المؤلف من مصادر مادته العلمية التى وصلت إلى ١٩٦ مصدرا. بقدر ما يجهد من يرجع إليه ويقرأه، بقدر ما يمتعه وذلك أن النص العربى كتب بإتقان وبلاغة وسلاسة فى غاية الجودة. فإذا كان رودلف بلوم هو مؤلف النص الألمانى، فإن شعبان خليفة هو مؤلف النص العربى. يضيف إلى المجموعة البحثية من المنفردات فى مجال الببليوجرافيا ـ أصلا وتاريخا وتطورا واستخداما ـ إضافة جديدة تساوى عشرات المجلدات.